

الإعجاز العلمي

إن البشرية تعيش منذ قيام الثورة الصناعية في أوروبا صراعاً بين العلم والدين اتسعت ساحته حتى شمل معظم ميادين العلم والمعرفة في أنحاء العالم. ولقد شققت البشرية بهذه المعركة التي كان الدين المحرف هو المتصدر في هذا الصراع حيث روى أن الدين خرج منهزماً في حلبة الصراع وبانهزامة بقيت البشرية تتخبط في متاهات الظلام والحيرة ، تجرب بدون هدى ، وتسير إلى غير هدف ، تتجرع غصص الفشل المتكرر وتتكد مرارته بين الحين والآخر. لقد حدث هذا في غياب الإسلام عن ساحة المعركة والإسلام هو الدين الحق الذي يتفق مع الحق في كل صورته ، بل يحتضن الحق ويدعمه أنى كان ، وحيثما كان ومن أية جهة جاء (الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها) ، والإسلام هو الدين الذي يتبنى العلم منهجاً لمعرفة الله سبحانه ومعرفة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنهجاً لمعرفة الدين نفسه وتبين صدقه ولمعرفة الوجود من حولنا. وحسبنا قول ربنا جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء: ٣٦). وقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩). ولقد تنبه علماء المسلمين إلى هذا الصراع الدائر بين العلم والدين المحرف وإلى محاولة أعداء الإسلام نقل المعركة إلى بلاد المسلمين فبدأوا يكتبون عن الإسلام والعلم فإذا بهم يضعون أيديهم على معجزة تجلت في هذا العصر أيد الله بها دينه الحق ألا وهي: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة. وكان ذلك تحقيقاً لوعده جل وعلا ﴿سُئِرْهُمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ (فصلت: ٥٣). وبدأت الكتابات تتوالى في هذا الباب ، ومنها ما أجاد فيها أصحابها ومنها ما يحتاج إلى تصويب وتقويم .

الإعجاز العلمي : وصف الإعجاز هنا بأنه علمي نسبة إلى العلم .
والعلم : هو إدراك الأشياء على حقائقها، أو هو صفة ينكشف بها المطلوب انكشافاً تاماً. والمقصود بالعلم في هذا المقام : العلم التجريبي. وعليه فيعرف الإعجاز العلمي بانه: إخبار القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي ، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مما يظهر صدق الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أخبر به عن ربه سبحانه.

الفرق بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي:
فالتفسير العلمي : هو الكشف عن معاني الآية أو الحديث في ضوء ما ترجحت صحته من نظريات العلوم الكونية
أما الإعجاز العلمي : فهو إخبار القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة ، بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي أخيراً ، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية ، في زمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). وهكذا يظهر اشتغال القرآن أو الحديث المروي عن الرسول أو عن آل بيته (صلى الله عليه وآله وسلم) على الحقيقة الكونية، التي يؤول إليها معنى الآية أو الحديث، ويشاهد الناس مصداقها في الكون ، فيستقر عندها التفسير، ويعلم بها التأويل.

وتتمثل أوجه الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة فيما يلي:

- ١- في التوافق الدقيق بين ما في نصوص الكتاب والسنة المطهرة ، وبين ما كشفه علماء الكون من حقائق كونية ، وأسرار علمية، لم يكن في إمكان بشر أن يعرفها وقت نزول القرآن .
- ٢- تصحيح الكتاب والسنة المروية عن الرسول وأهل بيته الطيبين الطاهرين (عليهم الصلاة والسلام) لما شاع بين البشرية، في أجيالها المختلفة ، من أفكار باطلة ، حول أسرار الخلق.
- ٣- إذا جمعت نصوص الكتاب ، والسنة المطهرة الصحيحة ، وجدت بعضها يكمل بعضها الآخر ، فتتجلى بها الحقيقة ، مع أن هذه النصوص قد نزلت مفرقة في الزمن، وفي مواضعها من الكتاب الكريم ، وهذا لا يكون إلا من عند الله ؛ الذي يعلم السر في السموات والأرض .
- ٤- سن التشريعات الحكيمة ، التي قد تخفى حكمتها على الناس ، وقت نزول القرآن، وتكشفها أبحاث العلماء في شتى المجالات .
- ٥- عدم الصدام بين نصوص الوحي القاطعة ؛ التي تصف الكون وأسواره، على كثرتها ، وبين الحقائق العلمية المكتشفة على وفرتها ، مع وجود الصدام الكثير، بين ما يقوله علماء الكون ، من نظريات تتبدل مع تقدم الاكتشافات، ووجود الصدام بين العلم ، وما قررته سائر الأديان المحرفة المبجلة.

أهمية أبحاث الإعجاز العلمي وثمارها

- ١- تجديد بيئة الرسالة في عصر الكشوف العلمية :
- إذا كان المعاصرون لرسول الله (صلى الله عليه وآله) قد شاهدوا بأعينهم ، كثير من المعجزات ، فإن الله أرى أهل هذا العصر ، معجزة لرسوله تتناسب مع عصرهم ، ويتبين لهم بها أن القرآن حق ، وتلك البيئة المعجزة هي : بيئة الإعجاز العلمي ، في القرآن والسنة

المطهرة، وأهل عصرنا لا يذعنون لشيء مثل إذعانهم للعلم، وبياناته ودلائله ، على اختلاف أجناسهم وأوطانهم وأديانهم ، وأبحاث الإعجاز كقيلة بإذن الله بتقديم أوضح الحجج ، وأقوى البيانات العلمية ، لمن أراد الحق من سائر الأجناس.

٢- تصحيح مسار العلم التجريبي في العالم :

بإمكان المسلمين أن يتقدموا لتصحيح مسار العلم في العالم، ووضعه في مكانه الصحيح، طريقاً إلى الإيمان بالله ورسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومصداقاً بما في القرآن ، ودليلاً على الإسلام ، وشاهداً بتحريف غيره من الأديان .
إن البشرية بحاجة إلى الدين الحق ؛ لإنقاذها مما حل بها من خواء في الروح ، وضياح في الشعور ، وشقاء في النفس ، بحاجة إلى الدين الذي يجمع لها بين الدين والعلم، والمادة والروح ، والنظام والخلق وسعادة الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، ولكنها بحاجة إلى دليل من العلم يثبت لها صحة الدين .

٣- تنشيط المسلمين للاكتشافات الكونية ، بدافع من الحوافز الإيمانية:

إن التفكير في مخلوقات الله عبادة ، والتفكير في معاني الآيات والأحاديث عبادة، وتقديمها للناس دعوة إلى الله ، وهذا كله متحقق في أبحاث الإعجاز العلمي في القرآن والسنة المطهرة. وهذا من شأنه أن يحفز المسلمين إلى اكتشاف أسرار الكون ؛ بدوافع .

أقسام الآيات أو الإشارات العلمية في كتاب الله تعالى :

تقسم الآيات العلمية أو الإشارات العلمية في آيات كتاب الله تعالى المجيد إلى عدة أقسام :

أولاً : الآيات التصريحية:وهي ما تصرح به الآية الكريمة بشكل جلي واضح لا يقبل الجدل عن أمر علمي أو ظاهرة علمية معينة تضرب كمثل ضمن النص القرآني وهذا النوع يحوي آيات عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر الآيات التي تتحدث عن حال الجنين في رحم المرأة ، وكذلك الآيات التي تناولت الآيات الكونية ، وغيرها الكثير من الآيات التي سوف تتم مناقشتها في معرض عرضنا لنماذج مختلفة من الإعجاز العلمي، سواء كان في جانب الطب او الكون أو البحار ... الخ.

ثانياً : الآيات التلميحية : وهو ما تمر عليه الآية ضمن النص القرآني مروراً سريعاً دون تفصيل ، إلا أن الآية تلمح إلى حقيقة علمية أو أمر يستدعي البحث العلمي ، وفي هذا أمثلة كثيرة أيضاً منها قوله تعالى : { وَتَحْسَبُهُمْ آيَظَاناً وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِائِلٌ مُلْتَمِئَاتٌ مِنْهُمْ وَرِزْقُهُمْ يُرْسَلُ } الكهف ، فقوله تعالى : { ... وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ... } ، يلمح إلى معنى علمي أساسي جاءت بسببه عملية التقليل وهو أن استمرار أهل الكهف بنومهم مدة طويلة من الزمن على جانب واحد يؤدي إلى تفرح أعضاء الجسم وهو ما اكتشفه الطب الحديث .

ثالثاً : الآيات الإستنباطية : إن التأويل والإستنباط أمران مباحان للفكر الإسلامي على مر العصور سواء كان في العلوم الدينية أو الدنيوية . وهذا النوع له عدة تطبيقات قرآنية ، ويختلف التفسير أو التدبر هنا بحسب المنظار الذي ينظر منه الباحث على أن لا يخرج عن الأطر التي حددها العاملون في حقل الإعجاز العلمي. والامثلة هنا كثيرة ، رأيت إلى قوله تعالى : { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } {٤١} الروم ، ففي هذه الكلمات الطيبات حروف قلائل جمعت علوم البيئية والأنثروبولوجي والنفس والاقتصاد والهندسة وغيرها يستطيع الباحث أن يستنبط منها حسب نظرته للآية ، فالفساد قد يكون اجتماعياً بسبب عدم تطبيق شرع الله في الارض وهذا ما نراه في المجتمعات الغربية وبعض المجتمعات الاسلامية ، أو فساد في نظام الكون أو البيئية بسبب تدخل الانسان في عمليات التوازن البيئي والكوني وعمله الذي يعتقد انه صحيح بينما هو في الواقع غير ذلك ، وما فتحة الاوزن وتلوث البيئية وانقراض الحيوانات والامراض الجديدة كالإيدز مثلاً والتي ظهرت في المجتمعات المتطورة والنامية إضافة إلى الظواهر الكونية والبيئية التي نراها من حرائق وأمطار وزلازل وعواصف إلنتيجة لهذه التدخلات البشرية غير السليمة بحجة فهم الكون والارض والتطور العلمي.